احتمالات التوغل البري

بقلم عصام خوري
Mar 07, 2024

نشر الاعلام يوم 28 فبراير/ شباط 2024 انفجارات ضخمة في حقل ألغام غرب تل العدنانية بين مستوطنة عين زيفان وأفيتال في هضبة الجولان داخل إسرائيل، واللافت للنظر أن الإسرائيليين هم من فجروا هذا الحقل، وكأنهم يحضرون قواتهم لاجتياح بري محتمل على جبهتهم الشمالية.

بالتأكيد هذا التوجه الإسرائيلي مقلق لحزب الله وللنظام السوري، ومن ورائهم الحرس الثوري الإيراني، فالهجوم البري ان نفذته إسرائيل لن يقتصر على مساحة محدودة من سوريا ولبنان، بل سيطال عموم البنية التحتية التي ترتكز عليها الخلايا النائمة التي زرعها الحرس الثوري الإيراني في كلا البلدين، فالإسرائيليون وكعادتهم يستبقون أي هجوم بري بسلسلة من الغارات الجوية بغية تمشيط المناطق التي سيمر منها جيشهم، وفعليا أقدمت إسرائيل على سلسلة من الاغتيالات والغارات النوعية التي قضت على العديد من الاستشاريين الهامين للحرس الثوري الإيراني ولحزب الله مثل "سعيد عليدادي[1]، ورضي موسوي، حجة الله أميدوار، وعلي آقازاده، وحسين محمدي، وسعيد كريمي[2]"، كما دمرت العديد من مخازن الأسلحة في سوريا ولبنان، إلا ان الذخائر العسكرية لم تنضب في كلا البلدين، لا بل على العكس تنوعت الهجمات التي تستهدف إسرائيل من الجبهة الشمالية لتجبر الإسرائيليين على التفكير الجدي بالهجوم البري.

حزب الله يدرك تماما انعكاسات تلك الحرب على قواته، لذا قرر قلب المعادلة على إسرائيل عبر استخدامه لنوع جديد من المسيرات الانتحارية، حيث استهدف يوم الأربعاء 6 مارس/ آذار 2024 موقع "المطلة الإسرائيلي العسكري"، كما نشر الاعلام الحربي لحزب الله يوم 5 مارس/ آذار 2024 "إنفوغراف" بين فيه تنفيذ الحزب ل 1194 هجوما ضد إسرائيل منذ يوم 8 أكتوبر/ تشرين الأول 2024، وبينوا اسقاطهم لما يزيد عن الفي جندي إسرائيلي بين قتيل وجريح.

---

[1] قيادي كبير بالحرس الثوري الإيراني".. من هو "عليدادي" الذي قتل بضربة سوريا؟/ قناة الحرة/ ٢ شباط/ فبراير ٢٠٢٤
https://www.alhurra.com/iran/2024/02/02/%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D9%83%D8%A8%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%87%D9%88-%D8%B9%D9%84%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D9%82%D8%AA%D9%84-%D8%A8%D8%B6%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%9F

[2] إيران تتهم إسرائيل باغتيال 5 مستشارين في الحرس الثوري بسوريا وتتوعد بالرد/ الجزيرة نت/ ٢٠ كانون الثاني ٢٠٢٤
https://www.aljazeera.net/news/2024/1/20/%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%AA%D8%AA%D9%87%D9%85-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%A8%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-5-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%86

أرقام حزب الله غير مؤكدة، لأن الحزب لم ينشر صورا وفيديوهات لعملياته العسكرية، على عكس ما كان يفعل في هجماته السابقة على إسرائيل "قبل أحداث 7 أكتوبر 2024"، ولكن الأمر الذي قد يقلب الموازين هو سماح حزب الله لمقاتلي "المقاومة الإسلامية العراقية" ان يستخدموا مناطق نفوذه في سوريا ولبنان كي ينفذوا هجمات في الداخل الإسرائيلي، حيث أعلنت المقاومة الإسلامية العراقية يوم 5 آذار/ مارس 2024 عن استهدافها لمطار مستوطنة "كريات شمونة" بالطائرات المسيّرة، واستهدفها لمحطة الكهرباء في ميناء مدينة حيفا[3]، كما نشر الاعلام الحربي للمقاومة الإسلامية اعلانا بانه نفذ أكثر من 100 غارة على مواقع في الداخل الإسرائيلي[4].

تزامن نشر "إنفوغراف" الخاص بحزب الله، مع الإعلان عن 100 غارة نفذتها المقاومة الإسلامية، يدلل وبوضوح على استراتيجية إعلامية متحدة تجمع المليشيات العراقية وحزب الله، حيث تسعى هذه الاستراتيجية لإشعار الإسرائيليين والأميركيين، بضعف معلوماتهم الاستخباراتية والامنية، فالمقاتلين العراقيين استطاعوا تمرير مسيراتهم في الأراضي السورية وصولا للبنان بدون عوائق، وعلى الأرجح باتوا قادرين على تصنيع تلك الطائرات المسيرات في أي رقعة جغرافية يصلون لها.
كما تسعى هذه الاستراتيجية لعدم لصق اية عمليات في الجبهة الشمالية بحزب الله وحده، مما يساهم في تملص حزب الله من نتائج اية عملية كبيرة يقدم عليها، بحيث يلصق تلك العملية بالمليشيات العراقية كي يجنب لبنان حربا شاملة.
وبالتأكيد تساهم هذه الاستراتيجية أيضا في إعلاء الروح المعنوية لمقاتلي حركة حماس، بعد أن خسرت حماس القسم الأكبر من صواريخها في الاجتياح البري الإسرائيلي لقطاع غزة.

---

[3] Twitter, Mar 06, @AlMayadeenNews https://twitter.com/AlMayadeenNews/status/1765312490395574658?ref_src=twsrc%5Etfw%7Ctwcamp%5Etweetembed%7Ctwterm%5E1765312490395574658%7Ctwgr%5E72d136106669f23c66ed918e174ff82fb9203458%7Ctwcon%5Es1_&ref_url=https%3A%2F%2Fwww.almayadeen.net%2Fnews%2Fpolitics%2FD8A7D984D985D982D8A7D988D985D8A9-D8A7D984D8A5D8B3D984D8A7D985D98AD8A9-D981D98A-D8A7D984D8B9D8B1D8A7D982-D8AAD8B3D8AAD987D8AFD981-D985D8B7D8A7D8B1--D983D8B1D98AD8A7D8AA-D8B4D985D988D986D8A9--D8A8D8A7D984D985D8B3

[4] قناة الميادين، ٦ مارس/ آذار ٢٠٢٤
https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82--%D8%B6%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7---%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AA

من هذه الاخبار ندرك أن المقاومة الإسلامية العراقية توقفت عن استهدافها للقوات الأميركية في العراق وسوريا والاردن، ونقلت عتادها الحربي الى جوار إسرائيل كي تنفذ هناك عمليات نوعية بالتنسيق مع حزب الله والمستشارين من الحرس الثوري الإيراني. وهذا بالحقيقة يعطي مؤشرا عريضا عن وحدة الساحات التي تجمع المليشيات الشيعية المدعومة من طهران، والنظام السوري، وحركة حماس.

من هذه الاستراتيجية ندرك أن المليشيات الشيعية العراقية وبإيعاز من طهران توقفت عن استهداف الاميركيين بعد حادثة مقتل الجنود الثلاثة في المرصد22، ولكن طلب منها التواجد الى جانب مقاتلي حزب الله للتصدي لمعركة برية قادمة، كما سعى حزب الله لتضخيم أفعال تلك المقاومة بغية ارسال رسائل للإسرائيليين مفادها: أنتم لا تعرفون حقيقة عدوكم وامكانياته.

عموم تلك الأمور كانت بمخيلة الاميركيين، وهو ما استدعى رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة الجنرال مارك ميلي[5] يوم 4 مارس، آذار 2024، لزيارة القواعد الأميركية في سوريا بغية تقييم الجهود المبذولة لمنع عودة ظهور "الدولة الإسلامية" ومراجعة إجراءات حماية قواته من الهجمات الصاروخية والطائرات المسيرة التي تطلقها فصائل المقاومة الإسلامية العراقية، ولكن بالتأكيد تلك الزيارة ليست روتينية، بل تحمل في خفاياها تجهيزات أميركية لاحتمال تطور الصراع في المنطقة، فالأميركيين رغم التزامهم بملف مكافحة إرهاب الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، الا انهم ملتزمون بحماية الامن القومي الإسرائيلي، وقواتهم قد تكون مضطرة بالتعاون مع حلفائها من المنطقة لأن تضبط الحدود السورية-العراقية من حالة الفوضى التي أدت بالحقيقة لإلغاء دور الحكومتين اللبنانية والسورية، وانتشار فوضى السلاح الغير منضبط بكلا البلدين المجاورين لإسرائيل.

لذا ان قررت إسرائيل التوغل البري، فقد تضطر واشنطن لمساندتها لوجستيا واستخباراتيا، كما قد تقدم على ضرب الامدادات الإيرانية القادمة من العراق لسوريا، وبالتأكيد سيكون لدى تلك التنظيمات هجوما مضادا على القواعد الأميركية، مما سيعني توسع في الاشتباك المسلح ليمتد من سوريا نحو العراق، وهذا بالحقيقة أمر مكلف على واشنطن، لذا قد يكون الخيار الأقل كلفة لواشنطن، هو تعزيز قوة حلفائها المحليين "قوات سوريا الديموقراطية, الجيش الذي يقوده فريد القاسم" كي يشتبكوا مع التنظيمات المسلحة الشيعية بالنيابة عنها، وهذا بالحقيقة قد يؤدي لقطع طريق امدادات الحرس الثوري الإيراني من العراق نحو سوريا، وتحديدا من منطقة التنف وصولا لمناطق قوات سوريا الديموقراطية، وهو تماما ما اشرنا له في مشروع طرق متوازية[6] الذي نشره المركز التشيكي السلوفاكي للدراسات المشرقية في تموز ٢٠٢٣.

في حال نجحت واشنطن بهذه المهمة، فقد تكون تلك خطوة أولى نحو تحقيق حالة استقرار امنية في سوريا، وقد تسمح للنظام السوري بأن يحيد من هيمنة الإيرانيين على جيشه واستخباراته، وفي حال عجز عن ذلك قد يستمر التوغل البري الإسرائيلي ليحقق هذا الامر بالقوة العسكرية، في تكرار لما حصل في 30 أغسطس/آب 1982 عندما فرض اجتياح إسرائيل للبنان مغادرة حركة فتح والكثير من القياديين الفلسطينيين لبنان نحو تونس.

الاجتياح الإسرائيلي لجنوب سوريا إن حصل سيكون أقل كلفة من الاجتياح للجنوب اللبناني، فشبكة الانفاق في الجنوب السوري متواضعة جدا مقارنة بالجنوب اللبناني، كما في الأراضي السورية حالة كره للمد الشيعي الإيراني، مما يجعل المقاومة الشعبية محدودة ان لم تكن معدومة، كما ان قادة الجيش السوريين فاسدين، لذا سيكون الاشتباك الأوضح للإسرائيليين مع المليشيات الشيعية العراقية التي هي بالأساس من تفاخرت باستهدافها للمواقع المدنية داخل إسرائيل مثل مرفأ حيفا، من هنا قد يكون الهجوم الإسرائيلي مبررا بحجة الدفاع عن النفس، كذلك سيكون الدعم الأميركي مبررا بحجة مكافحة الجماعات الإرهابية، خاصة وأن أغلب تنظيما الحشد الشعبي العراقية باتت مدرجة على لوائح الإرهاب الأميركية.

كما أن سيطرة الإسرائيليين على الجنوب السوري ستقلب الأوراق عند حزب الله، خاصة إن امتد الهجوم لضواحي دمشق المطلة على سهل البقاع وتحديا مناطق بلودان والزبداني، فهي مناطق امداد لأسلحة حزب الله، كما هي مناطق مشرفة على مخيمات الفرقة الرابعة التي يقودها ماهر الأسد، هذا الوجود العسكري الإسرائيلي سيفرض على النظام السوري قطع علاقته بالإيرانيين، وسيجبر عناصر حزب الله على مغادرة سوريا، وإن لم يستطع بشار الأسد واخيه ماهر تحقيق هذه المهمة، ماهي ضرورة وجوده بالنسبة للإسرائيليين، ولن يجد الروس مبررا لإقناع الإسرائيليين بعكس ذلك، لذا سيخلق الاجتياح الإسرائيلي لسوريا خارطة جديدة في معادلات المنطقة، وبالتأكيد سينهي أحلام ايران بتحقيق منطقة اقتصادية موحدة ممتدة من طهران حتى البحر المتوسط.

---

[5] Top US general Mark Milley makes surprise visit to Syria, Al-Monitor, By, Jared Szuba, March 04, 2024 https://www.al-monitor.com/originals/2023/03/top-us-general-mark-milley-makes-surprise-visit-syria#:~:text=WASHINGTON%20%E2%80%94%20Top%20US%20general%20Mark,Islamic%20State%20(IS)%20group.

[6] Parallel Zones Project, Czech-Slovak Institute of Oriental Studies “CSIOS”, By Issam Khoury, Jul 2023, https://www.csiors.org/blog-detail/post/192671/parallel-zones-project